

ساري حنفي\*

ريغاس أرفانيتيس\*\*

## كتابة مقالات الرأي في الصحف اللبنانية سبات الحياة العامة للأكاديميين العرب

«لا يمل الفهم الصحيح من حوار لا ينتهي و(حلقات مفرغة) لأنه يثق بأن الخيال في نهاية المطاف سوف يلتقط على الأقل ومضة من ضوء الحقيقة المخيف دائماً»<sup>(1)</sup>.

تهدف هذه المقالة إلى دراسة مساهمة الأكاديميين (ولاسيما في لبنان) في كتابة مقالات الرأي في الصحف اللبنانية، متسائلة: لماذا يكتب الأكاديميون مقالات رأي في الصحف؟ ما حجم مساهمة الأكاديميين؟ هل يعزز رأيهم وجهة نظر الصحف أم يقيم توازناً مع وجهة النظر هذه؟ في أي نوع من القضايا يكتب الأكاديميون؟ ما دور المحررين في صفحات الرأي؟ تتكون منهجية هذه الدراسة من مرحلتين: مرحلة اختيار عينة عشوائية منتظمة لتحديد حجم مساهمة الأكاديميين في صفحات الرأي، مقارنة بفئات أخرى من الكتاب ومرحلة التحليل النوعي، من عينة أوسع.

وبيّنت هذه المقالة أن هناك قلة فقط من الأكاديميين المهتمين بالكتابة في الصحف، على الرغم من أنها تبدو طريقة مباشرة للمشاركة في النقاش العام. وقد حاولت تفسير هذا التردد بتناول عوامل لها علاقة بعدم اعتراف نظام الترقية في الجامعات لمثل هذه الأشكال من المشاركة المجتمعية، وأسباب ذاتية تتعلق بالأكاديمي.

### مقدمة

تعتبر صفحات الرأي من المواد الأكثر قراءة في جميع الصحف والمطبوعات في العالم؛ فهي تسمح للكاتب غير المحترف بوضع قضية ما تحت أنظار صناع القرار والرأي العام أو بتقديم وجهة نظره

\* أستاذ علم الاجتماع ورئيس قسم العلوم الاجتماعية والدراسات الإعلامية، الجامعة الأميركية في بيروت.

\*\* باحث، المركز الفرنسي للبحث من أجل التطوير.

(1) Hannah Arendt, «Understanding and Politics,» *Partisan Review*, vol. 20, no. 4 (July-August 1953), p. 392.

وخبرته عبر الأخبار. وتأخذ مواد صفحات الرأي عادة أحد الأشكال الأساسية الستة التالية: افتتاحيات، ويكتبها موظفو الصحيفة؛ رسائل إلى المحرر، ويكتبها القراء؛ مقالات رأي، ويكتبها عمومًا أشخاص ذوو خبرة أو صدقية خاصة في مجال معين؛ تصريحات تُنشر في الصحف بتوقيع أصحابها؛ مقابلات طويلة؛ وأخيرًا شكل جديد يتكون من ردود أحد الخبراء على أسئلة القراء بشأن موضوعات محددة.

تهدف هذه المقالة إلى دراسة مساهمة الأكاديميين (ولاسيما في لبنان) في كتابة مقالات الرأي في الصحف اللبنانية. وهذا بُعد من أبعاد العلوم الاجتماعية العامة وفق التصنيف الرباعي لمايكل بوراووي<sup>(٢)</sup> (M. Burawoy) الذي يميز بين أربعة أنواع من علم الاجتماع: النوعان الأولان (علم الاجتماع المهني وعلم الاجتماع النقدي) لهما صلة بالجمهور الأكاديمي، بينما يتعلق النوعان الآخران (علم اجتماع العموم (Public Sociology) وعلم اجتماع السياسات (Policy Sociology)) بجمهور أوسع.

يضع علم اجتماع العموم «علم الاجتماع في متناول الجمهور، الذي يُقصد به الأشخاص المشاركون مباشرة في الحوار. وهذا ينطوي، بالتالي، على حوار مزدوج»<sup>(٣)</sup> وعلاقات متبادلة، يعزز فيها الحوار الهادف التعليم المتبادل الذي لا يدعم ذلك الجمهور فحسب بل يثري أيضًا العمل الاجتماعي نفسه ويساعد على وضع أجندات البحث. وتمثل المشاركة المجتمعية في تصميم مقترحات الأبحاث وكذلك تنظيم المحاضرات وورش العمل مع مختلف الأطراف المعنية لنشر نتائج تلك الأبحاث أشكالا يستطيع الباحثون الاجتماعيون من خلالها التفاعل مع الجمهور وتحديد ملاءمة الموضوعات المزمع دراستها لحاجات المجتمع والجمهور على حد سواء. وبالتالي للعلوم الاجتماعية العمومية مستويات أربعة: أولاً، تفضيل منهج التدخل السوسولوجي والدراسات الإجرائية (Action Research)؛ ثانياً، التحدث والكتابة للجمهور عن الموضوع/ التخصص الذي يخوض به الباحث؛ ثالثاً، التحدث والكتابة عن الموضوع/ التخصص ومدى ارتباطه بالعالم الاجتماعي والثقافي والسياسي المحيط؛ رابعاً، التحدث والكتابة واتخاذ موقف حيال موضوعات عامة ليس لها علاقة بتخصص الباحث<sup>(٤)</sup>. وهنا يجب أن نقرّ بالموقف المعياري للباحث العمومي من دون أن يعني ذلك تبني قضية معينة دونها نقاش نقدي لها<sup>(٥)</sup>.

تثير هذه المقالة كثيراً من الأسئلة: لماذا يكتب الأكاديميون مقالات رأي في الصحف؟ ما حجم مساهمة الأكاديميين؟ هل يعزز رأيهم وجهة نظر الصحف أم يقيم توازناً مع وجهة النظر المؤسسية؟ في أي نوع من القضايا يكتب الأكاديميون؟ ما دور «المتحكمين» («Gatekeepers») في صفحات الرأي؟

طبعاً، لا تقتصر مساهمة الأكاديمي في الشأن العام على كتابة مقالات الرأي؛ فالمقابلات وسيلة أخرى مهمة للمساهمة في النقاشات. على سبيل المثال، نجد في عدد ١٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣ من صحيفة ديلي ستار، مقالتين يرد فيهما مشاركون ينتمون إلى الجامعة الأميركية في بيروت. فالصحافية ليساندر أوهرستروم (Ohrstrom) أجرت مقابلات مع ثلاثة أكاديميين في كلية الطب بالجامعة المذكورة في سياق كتابة مقالها «دم الخفاش: جرعة لإزالة الشعر الزائد أم حكاية الزوجات

(٢) مايكل بوراووي «نحو سوسولوجيا للعموم»، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد ١٠ (شتاء ٢٠١٠).

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(4) Alan Lightman, «The Role of the Public Intellectual.» (Mit Communication Forum, 2008), on the Web: <<http://web.mit.edu/comm-forum/papers/lightman.html>>.

(5) Nadia Marzouki, «Théorie et engagement chez Edward Saïd.» *Mouvements*, nos. 33-34 (2004), on the Web: <[www.cairn.info/revue-mouvements-2004-3-page-162.htm](http://www.cairn.info/revue-mouvements-2004-3-page-162.htm)>.

القديمات؟»<sup>(٦)</sup>.. (Bat's Blood :Hair Removal Potion or Old Wives' Tale?) وأجرى كريم شاهين مقابلة مع أكاديمي من كلية الصحة العامة عن «الجانب المظلم للقمار»<sup>(٧)</sup>. ولكن بصفة عامة، تغيب تقريباً من الصحف المقابلات الطويلة أو آراء الخبراء في قضايا عامة (غير تلك المتعلقة بالحياة السياسية والاجتماعية).

## لبنان: وسط إعلامي مستقطب سياسياً

منذ أوائل ستينيات القرن العشرين ولبنان يتمتع بهامش حرية واسع في إدارة صحف تتناول القضايا اللبنانية وغيرها. وقد كان لبنان في الواقع مركز الحياة الفكرية العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر<sup>(٨)</sup>. وكان بامتياز البلد الذي تمحورت فيه المناقشات في صحيفتي السفير والنهار بشأن إنهاء الاستعمار والصراع العربي - الإسرائيلي والعروبة والعالم الثالث، فضلاً عن قضايا سياسية واجتماعية مهمة أخرى. ويمكن اعتبار صحيفة الحياة التي مقرها لندن ويملكها رجل أعمال سعودي، الصحيفة العربية الوحيدة التي تناولت مجموعة مماثلة من القضايا. ولهذا السبب، نأخذ بعض مقالاتها بعين الاعتبار في تحليلنا.

بيد أن لوسائل إعلام اللبنانية سمات أكثر تعقيداً في الوقت الحاضر؛ فعلى الرغم من كونها من بين الأكثر حرية في المنطقة العربية، فإنها متحيزة للغاية وأبعد ما تكون عن الحياد والتوازن<sup>(٩)</sup>. وتعكس وسائل الإعلام (صحف وتلفزيونات وإذاعات)، حتى غير الناطقة بالعربية منها، انقسامات السلطة على أسس سياسية/ طائفية معبرة عن المساهمين الرئيسيين فيها، وبالتالي تعمل كامتدادات للانتماءات<sup>(١٠)</sup>، ولا تعدو كونها «صحف آراء» (Viewspapers)، بحسب تعبير أستاذ الإعلام المخضرم نبيل الدجاني<sup>(١١)</sup>، بل إن الصحف، الممولة أساساً من رجال أعمال وجهات سياسية فاعلة، لا تدعي حتى السعي وراء الموضوعية<sup>(١٢)</sup>. وفي الواقع، يشير بعض الباحثين إلى أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المشهد السياسي في لبنان<sup>(١٣)</sup>. ونتيجة لذلك، هناك «عقد اجتماعي

(6) <<http://www.dailystar.com.lb/Culture/Lifestyle/2013/Sep-13/231063-bats-blood-hair-removal-potion-or-old-wives-tale.ashx#ixzz2f2GhaXR9>>.

(٧) لقراءة المزيد:

<<http://www.dailystar.com.lb/News/Lebanon-News/2013/Sep-13/231091-the-dark-side-of-gambling.ashx#ixzz2f2HH8goK>>.

(8) Agnès Favier, «Logiques de l'engagement et modes de contestation au Liban Genèse et éclatement d'une génération de militants intellectuels (1958-1975)», (Thèse de doctorat en Science politique, Université Paul Cezanne – Aix Marseille III, 2004), p. 8.

لعل هناك وعياً بالمهمة الثقافية للبنان. لقد كتب الفيلسوف اللبناني الراحل ميشال شبعا: «مصلحة العالم العربي بأكمله هي أن نقرأ كل الكتب من أجله، ومن أجله نستوعب جميع المعارف (...). مهمتنا الدائمة هناك. ثروتنا هناك». انظر:

Michel Chiha, *Politique interieure*, publications de la fondation Michel Chiha (Beyrouth: Editions du Trident, 1980), Cite par: Favier, «Logiques de l'engagement et modes de contestation au Liban».

(9) Yasmine T. Dabbous, «Media with a Mission: Why Fairness and Balance Are Not Priorities in Lebanon's Journalistic Codes», *International Journal of Communication*, vol. 4 (2010), p. 721.

(10) Dima Sensenig-Dabbous, «Media Versus Society in Lebanon: Schizophrenia in an Age of Globalization», *Media Development*, vol. 47, no. 3 (2000).

(11) Nabil H. Dajani, *Disoriented Media in a Fragmented Society: The Lebanese Experience* (Beirut: American University of Beirut, 1992), p. 11.

(12) Elias Sakr, «Experts Lament Bias of Lebanese Media», *Daily Star*, 9/6/2008.

(13) Dabbous, «Media with a Mission», and Sensenig-Dabbous, «Media Versus Society in Lebanon».

مزوج غير مكتوب» يربط الصحفيين بأصحاب وسائل الإعلام - ويقيدهم بانتهاكاتهم السياسية - بينما، بالطريقة نفسها، يتبع الصحفيون لآراء المواطنين، ويعملون مؤشرات للرأي السياسي، بدلاً من أن يكونوا مصدرًا للتطورات الجديدة وقادة رأي محتملين<sup>(١٤)</sup>. بعبارة أخرى، إن شدة تحيز وسائل الإعلام في بلد منقسم بشدة تحوّل الإعلام إلى أداة لإيصال رسائل سياسية.

## المنهجية

تتكون منهجية هذه الدراسة من مرحلتين: في المرحلة الأولى، اخترنا عيّنة عشوائية منتظمة لتحديد حجم مساهمة الأكاديميين في صفحات الرأي، مقارنة بفئات أخرى من الكتاب.

وجرى اختيار ثلاث صحف لبنانية على أساس مزيج من معدلات توزيع مرتفعة وتغطية وطنية وإقليمية قوية. تحمل الصحيفتان العربيتان (الأخبار والنهار) لقب ثاني وثالث أكثر الصحف توزيعاً في لبنان، على التوالي<sup>(١٥)</sup>. كما أدرجنا صحيفة ديلي ستار التي تصدر بالإنكليزية. تُعتبر الأخبار عموماً أنها تمثل «اليسار» القريب أيديولوجياً من حزب الله، بينما تنشر النهار وديلي ستار آراء محافظة (ليبرالية إلى حد ما). مع ذلك، كان التوجه الأيديولوجي متغيراً قليل الأهمية بالنسبة إلى هذا البحث، كما سنرى. وباختيار هذه الصحف الثلاث فقط، نعترف بأننا استبعدنا صحيفتين مهمتين أخريين: السفير ولوريان لو جور. وللتخفيف من أثر هذا الاستبعاد، سألنا صحفيين مسؤولين عن صفحات التحرير في مقالات الرأي فيها عن مساهمة الأكاديميين في مقالات الرأي، فأكدوا النتيجة التي حصلنا عليها من الصحف الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، سوف نُدرج هاتين الصحيفتين، وكذلك صحيفة الحياة، في المرحلة الثانية، لتمثّل جميعاً قائمة أنشأناها لتكون الجزء الأكثر أهمية للتحليل في هذه المقالة.

لتكوين عيّنة من جميع مقالات الرأي التي ظهرت في أول أسبوع من كل شهر طوال سنة واحدة (من ١ آب/أغسطس ٢٠١٠ إلى ١ آب/أغسطس ٢٠١١)، بنينا أول عيّنة، ممثلة إحصائياً، تشمل مجموعة كبيرة من الموضوعات على مدار السنة<sup>(١٦)</sup>.

### الجدول (١)

#### توزيع الافتتاحيات في العيّنة

النسبة المئوية	العدد	
٢٣,٦	٥٣	النهار
٥٣,٣	١٢٠	الأخبار
٢٣,١	٥٢	ديلي ستار
١٠٠,٠	٢٢٥	المجموع

(14) Dabbous, p. 724.

(١٥) يُشكر الكاتبان أناساسيا الحاج وجوليا كريستينا دالاي (J.K. Daley) على مساهمتهما في جمع البيانات وتنقيحهما لهذه الدراسة. ويُشكر سامر فرنجية وفادي بردويل على قراءتهما للمخطوطة في مرحلتها الأولية.

(١٦) حصلنا على ميكروفيلم أرشيف النهار وديلي ستار من مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، بينما أخذنا أرشيف صحيفة الأخبار من موقعها الإلكتروني: <<http://www.al-akhbar.com/archive>>.

في المرحلة الثانية، وهي الأكثر أهمية بالنسبة إلى هذه الدراسة لأنها ستستخدم التحليل النوعي، قمنا بزيادة عدد مقالات الرأي المحللة التي نُشرت في الصحف اللبنانية عبر اختيار أكاديميين ظهرُوا في السنوات الثلاث الماضية (٢٠١١ - ٢٠١٣) في الصحف الثلاث نفسها وفي أربع صحف إضافية. جمعنا بهذه الطريقة قائمة أكبر ضمت ١٤٧ مقالة كتبها بين سنتي ٢٠١١ و ٢٠١٣ أكاديميون فاعلون (٩٠ مقالة) أو متقاعدون (٥٧ مقالة) (الجدول ٢)، وسوف نطلق عليها القائمة الأكاديمية. ولغرض هذا البحث، استبعدنا بعض الكتاب النادرين المتمين بطريقة ما إلى إحدى الجامعات ولكن صلتهم بها ضعيفة بعض الشيء: أكاديميون سابقون يكتبون عادة للصحف (مثل دلال البزري)، أو صحافيون يدرسون في الجامعات بدوام جزئي (مثل عمر نشابة ورامي خوري)<sup>(١٧)</sup>.

#### الجدول (٢)

#### توزيع الافتتاحيات في القائمة الأكاديمية

النسبة المئوية	عدد المقالات	الصحيفة
٨,٢	١٢	النهار
١٨,٤	٢٧	الأخبار
٢١,١	٣١	السفير
٥,٤	٨	ديلي ستار
٥,٤	٨	لوريان لو جور
٩,٥	١٤	الحياة
٣٢,٠	٤٧	المدن
١٠٠,٠	١٤٧	المجموع

## من يكتب في الصحف؟

صُنّف كتاب صفحات الرأي إلى سبع فئات: الصحافيون؛ الأكاديميون الجامعيون؛ الأكاديميون المتقاعدون؛ الممارسون<sup>(١٨)</sup>؛ المنتسبون إلى مراكز دراسات مستقلة<sup>(١٩)</sup>؛ السياسيون (غير أكاديميين)؛

(١٧) هنا، الحدود الفاصلة بين هذه الخلفيات غير واضحة. ينبغي الاعتراف بأن الصحافة أصبحت أكثر أكاديمية أو أن الأكاديميين يتبعون مزيداً من التقنيات الصحافية، انظر:

César Rodríguez-Garavito, «Amphibious sociology: Dilemmas and possibilities of public sociology in a multimedia world», in: Michael Burawoy, ed., *Precarious Engagements: Tackling the Dilemmas of Public Sociology* (Thousand Oaks, CA: Sage Publications, 2014), p. 23.

(١٨) في كثير من الأحيان قادة المنظمات غير الحكومية.

(١٩) هي شركات استشارية مستقلة ومراكز دراسة أو بحث، تُصدر عادة تقارير بشأن مسائل اجتماعية واقتصادية وسياسية. وهذه المراكز، النشطة جداً في المنطقة العربية، موجهة في معظمها نحو السياسات. انظر:

Issam Fares Institute, «Public Policy and Research in the Arab World: Pre and Post Uprising» (Report of the First Meeting of the CAPRI (Consortium of Arab Policy Research Institutes), Issam Fares Institute, Beirut, 2011).

لقد درسنا أهمية هذه المنظمات غير الحكومية، انظر:

Sari Hanafi, «Donor Community and the Market of Research Production: Framing and De-Framing the Social Sciences», in: Michael Burawoy et al. (Eds.) *Facing an Unequal World: Challenges from Sociology*. Vol III (International Association of Sociology, 2010), pp. 3-35.

الكتاب<sup>(٢٠)</sup>. وكما يُظهر الجدول (٣)، فإن جزءًا صغيرًا جدًا (نحو ١٧ في المئة) من مقالات الرأي كتبه الأكاديميون ونُشر في العينة الممثلة من الصحف المختارة. وكتب ١٠ في المئة «باحثون» في مراكز بحثية مستقلة هي غالبًا مراكز دراسات خاصة لا تقوم جميعها بوضع أبحاث، وكثير من هؤلاء «الباحثين» يحافظون على لقب مرتبط بهذه المراكز ولكن يعملون بالأحرى محللين سياسيين.

تبدو مساهمة الأكاديميين في مقالات الرأي أقل أهمية إذا أخذنا في الاعتبار ليس عدد مقالات الرأي المنشورة بل عدد الكتاب الأكاديميين. وكما سنرى بالتفصيل، لم نشهد سوى ١٨ أكاديميًا في مجتمع لبناني يضم نحو ٢١٠٠ أكاديمي جامعي بدوام كامل. ومع أن تحديدنا جزئي، فإننا نقدر وجود عدد إجمالي لا يتجاوز ٣٥ أكاديميًا لبنانيًا.

وكما سيظهر لاحقًا، فإن مستوى مشاركة الأكاديميين الجامعيين أدنى كثيرًا منها في دول أخرى، ولاسيما في العالم الغربي. ففي كندا، تستخدم دراسة أجراها فريق من الباحثين (جان بير روبيتيل وإيف غينغراس) في جامعة كيبيك<sup>(٢١)</sup> منهجية مختلفة عن منهجيتنا؛ فهي لا تدرس مقالات الرأي فحسب بل أيضًا التغطية الإخبارية لتحديد مستوى استخدام البحث العلمي من قبل بعض صحف كيبيك في سنة ١٩٩٦. لقد أظهرت هذه الدراسة أهمية البحث الأكاديمي الوارد في هذه الصحف. ويبين بينوا غودين (B. Godin)<sup>(٢٢)</sup> أيضًا أن نصف أساتذة الأبحاث الأكثر نشاطًا شارك في نشر المعرفة العلمية للناس (كتابة كتب أو مقالات، ومشاركة في الإذاعة والتلفزيون، وتنظيم المعارض ... إلخ)<sup>(٢٣)</sup>.

#### الجدول (٣)

توزيع الافتتاحيات بحسب أنواع المؤلفين وفق تصنيف العينة

النسبة المئوية	التكرار	المؤلف
٣٣,٣	٧٤	صحافي
١٨,٥	٤١	كاتب
١٧,١	٣٨	أكاديمي (جامعة)
١٢,٦	٢٨	سياسي غير أكاديمي
١٠,٤	٢٣	منتسب إلى مركز مستقل
٧,٧	١٧	ممارس
٠,٥	١	أكاديمي متقاعد
١٠٠	٢٢٢	المجموع
	٣	غير معرف
	٢٢٥	المجموع

(٢٠) الكتاب هم في كثير من الأحيان صحافيون سابقون أو مهنيون يكتبون للجمهور.

(21) Gilles Drouin, «Science et Médias: Un Mariage réussi.» *Le Magazine de l'Université du Québec*, vol. 30, no. 2 (October 1998), on the Web: <[http://www.uquebec.ca/mag/mag98\\_10/report.html](http://www.uquebec.ca/mag/mag98_10/report.html)>.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) لتشجيع نشر الأبحاث العلمية في الصحف، تستضيف بعض الجامعات الأميركية، مثل جامعة ديوك، مركزًا خاصًا بكتابة مقالات الرأي.

أما أصوات النساء في مقالات الرأي، فهي في عيّنتنا قليلة جداً، بل أقل في القائمة الأكاديمية (الجدول ٤). ومقالات الرأي التي كتبها أكاديميون كانت كلها تقريباً (٩٧ في المئة) بأقلام رجال. وتؤكد كارول جينكينز اتجاهًا مماثلاً في دراستها لـ واشنطن بوست ونيويورك تايمز ونيوارك ستار ليدجر<sup>(٢٤)</sup>.

الجدول (٤)

توزيع الافتتاحيات بحسب الجنس

القائمة الأكاديمية		العينة		
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
٩٨	١٤٤	٩٢	٢٠٧	ذكور
٢	٣	٨	١٨	إناث
١٠٠	١٤٧	١٠٠	٢٢٥	مجموع

من هم الأكاديميون الذين يكتبون مقالات رأي؟ ثمة ٢٥ أكاديمياً فقط كتبوا ١٤٧ مقالة رأي، منهم ١٨ لبنانياً و٤ يعيشون في الخارج، و٣ من فلسطين (انظر الجدولين ٥ و ١٠).

الجدول (٥)

الأكاديميون المساهمون في مقالات الرأي - مقيمون في لبنان أو من الشتات اللبناني ضمن القائمة الموسعة

الكتاب	الانتماء	الاختصاص	يعيش في الخارج	عدد مقالات الرأي
فواز طرابلسي	متقاعد. مدرس سابق في الجامعة اللبنانية الأميركية	تاريخ/ علم اجتماع		٢٦
أحمد بيضون	متقاعد. مدرس سابق في الجامعة اللبنانية	علم اجتماع/ تاريخ		٢٣
جاد شعبان	الجامعة الأميركية في بيروت	اقتصاد		١٩
أسعد أبو خليل	جامعة كاليفورنيا	علوم سياسية	يعيش في الخارج	٨
مسعود ظاهر	الجامعة اللبنانية	تاريخ		٧
بشار حيدر	الجامعة الأميركية في بيروت	فلسفة		٦
فادي بردويل	جامعة شيكاغو	أنثروبولوجيا	يعيش في الخارج	٥
أحمد بعلبكي	متقاعد - الجامعة اللبنانية	علم اجتماع		٤
سامر فرنجية	الجامعة الأميركية في بيروت	علوم سياسية		٤
منى فياض	الجامعة اللبنانية	علم نفس اجتماعي		٣
ساري حنفي	الجامعة الأميركية في بيروت	علم اجتماع		٣

يتبع

(24) Carol Jenkins, «Voices too Often Missing in op-ed Land: Women's», *Christian Science Monitor* (16 July 2008).

٢	يعيش في الخارج	دراسات شرق أوسطية	جامعة جورجتاون	داود خير الله
١		اقتصاد	الجامعة اللبنانية	ألبير داغر
١		فلسفة/لاهوت	الجامعة الكاثوليكية دي ليل	أنطوان فليفل
١		علوم سياسية	الجامعة اللبنانية	فيصل محمد
١	يعيش في الخارج	دراسات شرق أوسطية	SOAS - جامعة لندن	جلبير أشقر
١		علوم سياسية	الجامعة اللبنانية	حارث سليمان
١		حقوق	الجامعة اللبنانية	حسين الزين
١	يعيش في الخارج	علوم سياسية	جامعة مونتريال	كمال وهبي
١		علم اجتماع	الجامعة اللبنانية	نديم المنصوري
١		علوم سياسية	جامعة البلند	نواف كباره
١	يعيش في الخارج	اقتصاد	جامعة أوتاوا	كمال ديب
١٢٠				المجموع

بعبارة أخرى، ثمة قلة فقط من الأكاديميين في لبنان مهتمة بكتابة مقالات رأي في الصحف. وجميع هؤلاء، ما عدا نديم المنصوري، يقيم في بيروت حيث تتركز الموارد الرمزية والثقافية. وبعضهم متقاعد (فواز طرابلسي وأحمد بيضون وأحمد بعلبكي). ومن اللافت أن ليس هناك سوى امرأة واحدة: منى فياض. أما من حيث السن، فالأغلبية من الجيل الأكبر سنًا، فيما يجتمع جيل الشباب عن المشاركة بوجود هذا الشكل من التدخل العام. ويبدو أن اللبنانيين هم أساسًا من يكتب مقالات الرأي؛ فالأكاديميون الأجانب الذين قابلناهم غير مهتمين، أو يعتقدون أنهم لا يمتلكون صدقية المشاركة في المناقشات المحلية.

من الذين يعيشون في بلد أجنبي، هناك بعض الأكاديميين ولكنهم أيضًا كتاب مقالات غزير و الإنتاج مثل أسعد أبو خليل أو جوزيف مسعد أو خالد الحروب<sup>(٢٥)</sup>. لقد ساعد توافر العديد من الصحف على الإنترنت باللغة الإنكليزية على زيادة عدد القراء خارج المنطقة العربية، ولكن بشكل رئيسي ضمن الجوالي العربية<sup>(٢٦)</sup>. وجدلية هي إحدى تلك المنشورات الإلكترونية التي تجذب الكثير من أفراد الجوالي العربية إلى الكتابة<sup>(٢٧)</sup>.

يستند بعض مقالات الرأي إلى الأبحاث بينما لا يفعل بعضها الآخر. بيد أن اللافت لدى البحث في سير هؤلاء الكتاب هو أن بعضهم باحث مهني ممتاز. وهذا يعني أن الباحث الجيد يمكن أن يمضي بعض الوقت في ممارسة «البحث الاجتماعي العمومي». ولذلك يمكن اعتبار المقالات التي يكتبها البعض حوارًا ضروريًا مع الجمهور. أما الذين ينشرون في كتب ومجلات علمية محكمة بالإنكليزية أو الفرنسية، فيجدون في مقالات الرأي فرصة للكتابة باللغة العربية ونشر رسالتهم إلى مجتمعاتهم المحلية وخارجها. وأخيرًا، في

(٢٥) مسعد والحروب ليسا في الجدول أعلاه، لأنهما ليسا لبنانيين.

(٢٦) النشر عبر الإنترنت غير مقيّد بحجم معين، ويمكن إنجازه على الفور تقريبًا، وهو ما يتيح للأكاديميين مزيدًا من الحرية في تقديم أبحاثهم وآرائهم.

(٢٧) أود أن أذكر أيضًا موقع الانتفاضة الإلكترونية أو مواقع صحف أجنبية أخرى، ولكن الأكاديميين اللبنانيين المساهمين فيها نادرون. الاستثناء الوحيد هو شارل حرب الذي كتب ثلاث مرات في صحيفة الغارديان في السنوات الثماني الماضية.



ما يتعلق بحقل الكتابة، فإن هؤلاء الأكاديميين جميعًا، كما يبين الجدول (٥)، يكتبون في مجال علم الاجتماع. من المثير للاهتمام أن الأكاديميين اللبنانيين الذين يكتبون لصحيفة ديلي ستار نادرون؛ فمعظم كتاب الصحيفة هذه من غير العرب الذين كلفتهم بروجيكت سنديكيت (Project Syndicate)<sup>(٢٨)</sup>، والنتيجة هي أن قلة من مقالات هذه الصحيفة تهتم بالشؤون المحلية.

## البحث عن الكتاب: دور المحرر

يواجه محررو قسم الرأي قيودًا تتعلق بالمساحة والوقت واهتمامات القراء. ويتعين عليهم تحديد مقالات الرأي (افتتاحيات وغيرها) التي تُعتبر أجدر من غيرها بالنشر. وبهذه الطريقة يؤثر في الآراء التي تُنشر في الصحف، فضلًا عن مواعيد النشر واختيار الموضوعات<sup>(٢٩)</sup>.

ويقوم المحررون، باعتبارهم «المتحكمين» بشكل أولي، كما وصفهم غولان، بتعزيز وجهة نظر الصحف من طريق استخدام صفحات مقالات الرأي<sup>(٣٠)</sup>. بيد أن مثل هذه الاستراتيجية قد تناقض دور مقالة الرأي المخصصة لتحقيق التوازن مع آراء الصحيفة؛ إنها استراتيجية تعرض القراء لوجهات نظر تكاد تكون أحادية الجانب في قضايا سياسية مثيرة للجدل، ولكن هذا يتجاوز هدف مقالتنا<sup>(٣١)</sup>.

قد يتخذ بعض الأكاديميين خيارًا استراتيجيًا مفاده عدم تقديم «المواعظ إلى الجوقة»، أي اختيار صحف يمكن أن تصل إلى جمهور يعارض حجج الكاتب. وبهذه الطريقة، يفتحون نقاشًا ويقدمون أفكارًا جديدة للجمهور. وقد تكون هذه الاستراتيجية خطيرة، لأن هؤلاء الأكاديميين سيضعون أنفسهم في مرمى النيران باختيار جمهور أيديولوجيا معارضة. ربما تفسر المخاطر المرتبطة بمناقشة جمهور ذي رأي مختلف عدم مشاركة الأكاديميين في الإعلام.

يختار أكاديميون آخرون استراتيجية أخرى بالتوجه إلى جمهور ذي آراء مماثلة، تماشيًا مع وجهة نظر ميشيل فييفوركا<sup>(٣٢)</sup> بأن الباحثين في علم الاجتماع العمومي يصبحون أكثر فعالية عند مخاطبة جمهور منتقى بعناية ويبدى رغبة في النقاش.

من خلال مقابلة ثلاثة محررين لصفحات الرأي في لبنان، وجدنا أنهم نادرًا ما يتصلون بأحد لدعوته إلى

(٢٨) تطرح بروجيكت سنديكيت نفسها كمشروع «يحمل [...] آراء قادة ومفكرين معتبرين من مختلف أنحاء العالم إلى القراء في كل مكان. ومن خلال تقديم وجهات نظر ثاقبة عن عالمنا المتغير من أولئك الذين يشكلون اقتصاده وسياسته وعلومه وثقافته، أنشأت بروجيكت سنديكيت منبرًا لا مثيل له للنقاش العام المستنير». وهي توفر مقالات لنحو ٤٩١ صحيفة في ١٥٤ بلدًا. وتُترجم تعليقات بروجيكت سنديكيت إلى «تسع لغات، وتصل إلى أكثر من ٧٦ مليون قارئ في ١٥١ دولة». انظر: <www.project-syndicate.org> (٢٩) على سبيل المثال، وسائل الإعلام الروسية مهتمة بمناقشة قضايا المساواة بين الجنسين، وبشكل خاص تواريخ نشر فعاليات المرأة أو في بعض الحالات (أخبار الإجرام، الانحراف...). انظر:

Anna Temkina and Elena Zdravomyslova, «Gender's Crooked Path: Feminism Confronts Russian Patriarchy», in: Burawoy, ed., p. 110.

(30) Guy J. Golan, «Editorials, Op-ed Columns Frame Medical Marijuana Debate», *Newspaper Research Journal*, vol. 31 no. 3 (Summer 2010).

(٣١) يذهب مروان بشارة أبعد من ذلك في شرح أن «الصحف المنتشرة جماهيريًا تنتج جماهير من المواطنين. إنها شركات مهمتها الأولى توليد العوائد لمساهميها من طريق استنساخ الوضع الراهن لعلاقات السلطة، ولذلك، فإن كتاب الرأي هم في كثير من الأحيان الأفضل في الكتابة العامة التي تدور حول قضايا خلافية، ولا يفعلون أكثر من معازلة السلطة. ويكتف هؤلاء الكتاب بمهارة وجهة نظرهم مع الباب الدوّار لصاحب السلطة بكل دينامياته المعقدة»، انظر:

Marwan Bishara, «Notes from the Field: A Roundtable: Writing International Development: The Op-Ed Page», *Signs*, vol. 29, no. 2 (Winter 2004).

(32) Michel Wieviorka, «Sociology's Interventions: Engaging the Media and Politics while Remaining a Social Scientist», in: Burawoy, ed., p.103.

الكتابة في صحفهم، بل يجري ما هو عكس ذلك في أكثر الأحيان. إضافة إلى ذلك، اشتكى محررون أن بعض المواد التي استلموها ليست قابلة للنشر، لأنها «لا تقدم حجة بل موقفاً سياسياً وإهانات»، كما عبّر محرر اشتكى أنه استلم مواد من أكاديميين متحيزين للغاية، يعززون فيها شراً متأصلاً وغير قابل للمعالجة إلى الحزب الذي يعارضونه من دون تقديم معلومات إلى القراء. والأكاديميون بالنسبة إلى هذا المحرر هم مجرد مواطنين مرتبطين بأحزاب سياسية<sup>(٣٣)</sup>.

بصفة عامة، لا يبدو أن محرري الصحف الذين التقيناهم يقدرون ضرورة دعوة باحثين أكاديميين إلى الكتابة في صفحاتهم، ولا أهمية إشراك الأكاديميين في المناقشات التي ينشرون.

## أساليب التعبير: التأملي والاستفزازي والمواطن

يُظهر تحليل مضمون القائمة الأكاديمية ثلاثة أساليب للتعبير في أثناء كتابة مقالة رأي: الأسلوب التأملي (Reflective)، والأسلوب الاستفزازي، وأسلوب المواطن. ويمكن أن يساهم هذا التصنيف في فهم أهمية مساهمة الأكاديميين في مقالات الرأي.

الأسلوب الأول تحليلي وتأملي؛ تحليلي بمعنى تقديم حجج معقدة لفهم و/أو تفسير ظاهرة اجتماعية أو حدث سياسي، واتخاذ موقف حياله قابلاً للأخذ والرد وفق التاريخ والجغرافيا؛ وتأملي بمعنى القدرة على النقد الذاتي وتجاوز التخندق الأيديولوجي ومراجعة الأسئلة، بل وإعادة تأطير طريقة قراءتنا لظاهرة اجتماعية أو حدث سياسي. ولكن هذا لا يعني أننا نميل هنا إلى تمجيد ما هو تحليلي بوصفه محايداً؛ فالموقف التحليلي قد يستبطن يوتوبيا ورغبة في مساعدة حركة اجتماعية في طور التكوين. والعلاقات بين المجالات العلمية والصحفية والسياسية معقدة، وهناك خطر الاستقطاب<sup>(٣٤)</sup>.

مثلاً، يلفت الأستاذ المساعد في العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت سامر فرنجية في مقالته «الثورة السورية: «الخير والشر» أم «المع والضد»»<sup>(٣٥)</sup>، انتباه القارئ غالباً بمعلومات جديدة وتحليلات طازجة، مقارنة على سبيل المثال الانتفاضة السورية بالثورة الفرنسية، ومبيناً العلاقة المتناقضة بين الأخلاق والسياسة. فأولئك الذين لا يريدون أن يأخذوا موقفاً من الانتفاضة السورية اختاروا الاختباء وراء الموقف الأخلاقي «الخير مقابل الشر» بحجة أن المعارضة السورية أيضاً تنتهك حقوق الإنسان. وهو كذلك نقدي، حيث بدأ مقالته بالإشارة إلى انتهاك حقوق الإنسان من جانب المعارضة السورية. كتابته عميقة لكنه يستخدم أحياناً حكايات تساعد القراء على تعزيز فهمهم لمسائل معقدة. هناك دائماً جانب تعليمي من دون أن يصبح واعظاً. وفي مقالة «كامل الأسد والهوية في أزمة»، يفند كمال وهبي<sup>(٣٦)</sup>، وهو أستاذ في الجامعة اللبنانية، مقالة كتبها طلال عتريسي بأن الشيعة اللبنانيين يكتسبون وعيهم كطائفة بفضل حركة الصدر في أوائل الثمانينات. ويرجع إلى وقت سابق مستخدماً آراء المؤرخ فيليب حتي ويكرر

(٣٣) على الرغم من أن رغبة المساهمة في النقاش العام من منطلق تأييد أيديولوجيا سياسية معينة أمر مفهوم، فإن التصرف وفق هذا الدافع قد يسيء إلى مهنة الأكاديمي. وكتابة مقالة من دون احترام الموضوعية قد تشوه سمعة الباحث بين الجمهور وفي الوسط الأكاديمي على حد سواء.

(34) Gérard Mauger, «La Participation des sociologues au débat public sur l'insécurité», *Histoire@Politique: Politique, culture, société*, no. 14 (Mai-Août 2011), on the Web: <www.histoire-politique.fr>.

(٣٥) سامر فرنجية، «الثورة السورية: «الخير والشر» أم «المع والضد»»، *الحياة*، ٦/٩/٢٠١٢.

(٣٦) كمال وهبي، «كامل الأسد والهوية في أزمة»، *النهار*، ٣/١١/٢٠١٠.

مفهوم المجتمع والوعي الطبقي لكارل ماركس وغيره من الباحثين الاجتماعيين. وفي السياق نفسه، تأتي مقالة أحمد بعلبكي، الأستاذ المتقاعد من الجامعة اللبنانية، الذي كتب نصًا تحليليًا بامتياز في جريدة السفير (١٧ آب/ أغسطس ٢٠١٣) عن جريمة سبها زواج مختلط بين درزية وسني.

يشبه أسلوب التعبير هذا وصف ميشيل فييفوركا لأسلوب بعض الباحثين الاجتماعيين الفرنسيين الذين يرغبون في أن يُعتبروا مثقفين<sup>(٣٧)</sup>، أي مشاركين في الحياة العامة. بيد أن ما يميزهم من الشخصية الكلاسيكية للمثقف، من نمط جان بول سارتر، هو أنهم لا يريدون التعبير عن رأي في مجال ليس لديهم فيه خبرة خاصة<sup>(٣٨)</sup>.

أسلوب التعبير الثاني ليس تحليليًا فحسب، بل هو يتحدى أيضًا الحس العام السائد ويفتح فضاءات جديدة للمناقشة. مثلاً، يمكن التفكير في بعض مقالات منى فياض، أستاذة علم النفس الاجتماعي في الجامعة اللبنانية، «أن تكون شيعيًا ٢٠٠٨» أو «الشيعية العرب (عملاء) في أوطانهم»، أو في مقالتي بشار حيدر، أستاذ الفلسفة في الجامعة الأميركية في بيروت («ثورة سورية فعل أخلاقي بطولي، صواريخ غزة ليست كذلك» أو «مساندة قوات الاحتلال في العراق واجب أخلاقي»، وكلاهما في صحيفة الحياة). هذه المقالات استفزازية ومليئة بآراء مُتقدّدة قوية. وهي تفتح النقاش عبر الموقع الإلكتروني لوسائل الإعلام وأيضًا عبر ردود من مقالات أخرى. وبغض النظر هل يوافق المرء أو لا يوافق مع هؤلاء الكتاب، وجدنا أن دور الأكاديميين هنا مثير للاهتمام في إحداث مسارات جديدة للتفكير والخيال الخلاق للجمهور.

الأسلوب الثالث هو عندما يكتب الأكاديمي كمواطن ولا يستطيع المرء العثور على مساهمة تخصصية، ولا على أي نظرية أو بحث ميداني. من الصعب أحيانًا معرفة هل يناقش الكاتب القضية كمواطن أم كباحث. والمثال على ذلك عدد من مقالات أسعد أبو خليل في صحيفة الأخبار، أو سامر فرنجية في صحيفة الحياة. نجد هذا النوع من البروفيل في كثير من الأحيان في مقالات الرأي، وكثيرًا ما يعبر عنه أكاديميون مسيئون. والخصائص الرئيسية لهذه المقالات هي أنها في بعض الأحيان تقدم عواطف أو رأي من دون دعم معلوماتي كإحصاءات أو بيانات أو شهادات.

## الموضوعات: غلبة السياسة

الأغلبية الساحقة من مقالات الرأي ذات طابع سياسي؛ فالأكاديميون يكتبون بشكل رئيسي عن السياسة: ٦٩ في المئة من المقالات في مقابل ١٨ في المئة في القضايا الاجتماعية (انظر الجدول (٦)). ولا ترجع غلبة السياسة إلى وجود المزيد من العلوم السياسية والمجالات ذات الصلة (دراسات شرق أوسطية وعلاقات دولية) فحسب، بل أيضًا إلى أن الصحف العربية أكثر اهتمامًا بالسياسة. ويشير حازم صاغية، محرر صفحة الرأي في صحيفة الحياة، إلى أن «العالم العربي منذ عصور يحترق بسبب وجود أنظمة سياسية قمعية وفاشلة ومشاكل اجتماعية عالقة فيه»<sup>(٣٩)</sup>.

(37) Wieviorka, «Sociology's Interventions.»

(38) Enzo Traverso, *Où sont passés les intellectuels?: Conversation avec Régis Meyran*, Conversations pour demain (Paris: Textuel, 2013).

(39) انظر دراستي بنيلوب لارزلييه حول غلبة المناقشات السياسية البحتة بدلاً من المناقشات الاجتماعية في مسارات الناشطين والأكاديميين في الأردن:

Pénélope Larzillière: «Political Commitment under an Authoritarian Regime: Professional Associations and the Islamst Movement as Alternative Arenas in Jordan,» *International Journal of Conflict and Violence*, vol. 6, no 1 (2012), and *La Jordanie contestataire: Militants islamistes, nationalistes et communistes*, la bibliothèque arabe. L'Actuel (Arles:

الجدول (٦)  
توزيع موضوعات مقالات الرأي في قائمة الأكاديميين

النسبة المئوية	عدد المقالات	الموضوع
٧٠, ٤	١٠٠	السياسة
١٨, ٣	٢٦	القضايا الاجتماعية
٦, ٣	٩	القضايا الاقتصادية
٤, ٩	٧	القضايا الثقافية
١٠٠	١٤٢	المجموع
	٥	أخرى

مقالات الرأي هي أساساً جزء من النقاش المحلي أو الإقليمي، ونادراً ما تناقش أموراً دولية<sup>(٤٠)</sup>. ولا يمكن أن يجد القارئ مناقشة كاملة مع آراء مختلفة؛ ففي كل قضية هناك مقالات تتراصف بلا ترابط. وعادة ما يجد توجه الصحيفة من يحق له النشر، وهناك بعض الاستثناءات؛ فالنهار نشرت في السنوات القليلة الماضية مناقشتين فقط ساهمت فيهما آراء مختلفة: واحدة عن الوجود الفلسطيني في لبنان والأخرى عن إرث أسعد الحسيني الذي كان شخصية شيعية لبنانية قيادية. والنتيجة نوع من ندوة مصغرة من تلك التي تُدرج أحياناً في قوائم القراءة للمخصصات الجامعية..

ولكي نرى كيف تجري معالجة الموضوعات، لنركز على موضوع واحد هو قضية المحكمة الخاصة بلبنان.

### حالة المحكمة الخاصة بلبنان

أجرينا دراسة عن تغطية الصحف اللبنانية التي تتناول المحكمة الدولية الخاصة بلبنان لدرس المدى الذي وصل إليه الإعلام اللبناني في تسهيل أو إعاقة النقاش «العقلاني» لموضوع المحكمة. شملت الدراسة ٢٣٤ مقالة (كُتبت بين آذار/ مارس وكانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩)، منها ٧٥ في المئة تقريباً تغطية إخبارية و ٢٥ في المئة مقالات رأي. كان الصحفيون والمحررون مسؤولين عن أكثر من ٨٩ في المئة من كامل مقالات العينة. وبينما يمكن اعتبار ذلك ميزة، وهي بالفعل كذلك في بيئة إخبارية «موضوعية»، فإن الانقسامات الكبيرة في وسائل الإعلام والدوائر السياسية في لبنان تعني أن التغطية لم تعكس سوى العقد الاجتماعي غير المكتوب بين طرفين. وقام الصحفيون، الملتزمون بأصحاب وسائل الإعلام، بدور الناقل لموقفهم السياسي بشأن المحكمة الخاصة بلبنان، ولكنهم كانوا في الوقت ذاته مدينين للمواطنين، وبالتالي عملوا كمؤشرات لقادة الرأي السياسي.

لكن يبقى سؤال كيف ظهر ذلك في التغطية وما تأثيره من دون إجابة. وبالتأكيد تشير مساهمات المقالات الهامشية بأقلام مزاولي الكتابة (١, ٢ في المئة) والأكاديميين (٣, ١ في المئة) إلى دور ساحق للمحررين والصحفيين في قولبة النقاش.

Sindbad-Actes Sud, 2013).

(٤٠) أحد الاستثناءات هو مقالة مسعود ضاهر، أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية والخبير بالشؤون الآسيوية، حول أزمة ٢٠١٣ بين الكوريتين الشمالية والجنوبية. نُشرت في: السفير، ٢٦/٤/٢٠١٣.

ظهر في التغطية أكاديمي واحد هو شبلي ملاط بأربع مقالات رأي. وكان ملاط آنذاك أستاذ القانون في جامعة القديس يوسف، ومدافعاً جسوراً عن حقوق الإنسان<sup>(٤١)</sup>، ورئيس تحرير الصفحة القانونية في ديلي ستار ومرشحاً رئاسياً سابقاً في لبنان. يمثل ملاط جسراً بين الجمهور والمجالات الأكاديمية، أو صلة الوصل بين الأبحاث المهنية والعمومية (بحسب تصنيف يوراوي). وهو، وفق تعبيره، يسعى إلى دور فاعل في بناء ما يسميه «خطاباً مشتركاً توافقياً» في المجتمع، أو بعبارة أخرى، بياناً رسمياً - أكاديمياً كان أم قانونياً بطبيعته - يكون له تأثير في المجتمع<sup>(٤٢)</sup>. كتب ملاط في صحيفة ديلي ستار:

يجب أن نواصل الضغط على المحكمة الخاصة بلبنان وبلهار، والآن على رئيس المحكمة كاسيزي، لتحقيق العدالة. إن نزاعاً مع (جميل) السيد<sup>(٤٣)</sup> مفيد فقط إلى الحد الذي يفرض تحقيق العدالة، ومن الواجب تحقيقها، من خلال فرض العدالة على الجميع. لذلك دعونا نُجمع على ضرورة تحقيق العدالة لإخواننا الضحايا اللبنانيين وعلى رؤية قتلهم في السجن - بلا استثناء - بدءاً بالذين قتلوا كمال جنبلاط وخطفوا موسى الصدر، وانتهاء بقتلة الحريري وسمير قصير<sup>(٤٤)</sup>.

وبسبب خبرة ملاط ونشاطه الدعاوي ووجهة نظره، ظهر صوته في أربع مقالات، واحدة منها كانت موضع رد من خلال «حق الرد» من اللواء جميل السيد، وهو من كبار المسؤولين الأمنيين وقت اغتيال الحريري. وفي إحدى المقالات الثلاث، وفي سياق النقاش بين الشخصيات، كتب يقول:

الآ يرى ملاط أن كشف الحقيقة والقبض على الجناة كان يمكن أن يكون أسهل على لبنان لو واصل رؤساء الأمن السابقون تحقيقاتهم ولو لم يكونوا هدفاً للاعتقال السياسي من خلال الصديق<sup>(٤٥)</sup> وغيره من شهود الزور؟<sup>(٤٦)</sup>

وردّ ملاط بأن «الضحايا اللبنانيين، وأولئك الذين يعملون من أجل العدالة الدولية، بحاجة إلى قرار في هذه القضية الغامضة»، لكنه يشدد على أهمية المجتمع الدولي في تحقيق هذا الهدف<sup>(٤٧)</sup>.

بيد أن هذا السجال كان حالة نادرة، والنقاش لم يتعد كثيراً عن نقاط الحوار الرئيسية للجماعات التي تزداد تخندقاً. وفي الواقع، تخللت «العدالة الدولية» و«شهود الزور» المناقشة، في ما كان فعلياً مناقشة بين الجانبين المتنافسين. ونتيجة لذلك، وعلى الرغم من أن النقاش الصحي أغنى وجهة النظر حيال المحكمة الخاصة بلبنان، فإن عدم القدرة على الابتعاد عن نقاط الحوار الأساسية لم يتعد كونه تحاور ممثلي أحزاب سياسية.

(٤١) في ممارسته للمحاماة، نال اهتماماً دولياً بسبب رفع قضية ضحايا صبرا وشاتيلا ضد أريئيل شارون وآخرين، أمام محكمة في بلجيكا، بموجب قانون السلطة القضائية العالمية.

(42) Chibli Mallat, «Saving the Special Tribunal for Lebanon from Failure: A Response to Jamil al-Sayyed and Antonio Cassese», *Daily Star*, 8/10/2009.

(٤٣) جاءت هذه المقالة: «إنقاذ المحكمة الخاصة بلبنان من الفشل: رد على جميل السيد وأنطونيو كاسيزي» ممارسة لحق الرد على السيد.

(44) Mallat, «Saving the Special Tribunal for Lebanon from Failure.»

(٤٥) كان زهير الصديق أحد «شهود الزور» المتهمين.

(46) Jamil Al-Sayyed, «Exercising the Right of Reply: General Sayyed's response to Chibli Mallat», *Daily Star*, 22/10/2009.

(47) Mallat, «Saving the Special Tribunal for Lebanon from Failure.»

ونلاحظ من تبادل الآراء أعلاه، وكذلك من نوع التغطية والكتّاب، أن الأحزاب السياسية إما تأثرت بالنقاش بشأن المحكمة الخاصة بلبنان وإما أثرت فيه. ونتيجة لذلك، وعلى الرغم من أن الإعلام قد يوفر منبرًا عامًا عريضًا لنقاش بناء وعقلاني، فإن التهميش أو الغياب الواضح لأطراف غير متحيزة بوضوح قاد إلى خنق كل نقاش يتجاوز ما تفرضه الانتماآت السياسية.

## كتابة مقالات الرأي: الأهمية والتحديات

مقالات الرأي والمقابلات هي أمثلة لـ«صيغ رشيقة» تجمع بين الصحافة الأدبية والأبحاث الأكاديمية، كما وصفها رودريغيز-غارافيتو في دعوته إلى طرق جديدة لنشر العمل الأكاديمي<sup>(٤٨)</sup>. وقد أكد كثير من الكتّاب أهمية مثل هذه النشاط العمومي، ولكن من دون توسيع النقاش، نود أن نعاين، اعتمادًا على بحثنا الميداني، بعض الأسباب وكذلك التحديات التي قد تترتب عليها كتابة الأكاديميين لمقالات الرأي.

نريد أولاً أن نرفض دافعًا واضحًا إلى حد ما، وهو المنفعة الاقتصادية. بعض الذين أُجريت معهم مقابلات ذكروا مسألة تحقيق مكاسب مالية من الكتابة في الصحف. ولكن بعد التحقق، وجدنا أن معظم الكتّاب الذين لا يكتبون على أساس منتظم، لا يحصلون على المال من الصحف. قد تكون هذه هي الحال بالنسبة إلى أولئك الذين ينشرون عمودًا بشكل منتظم، ولكنهم، مرة أخرى، أكثر انتباهًا لمكانتهم السياسية والأخلاقية منهم للفوائد المالية. بطريقة مماثلة، يمكن القول إن كتابة مقالات في الصحف هي وسيلة لتعزيز مكانتهم وتعزيز «رأس المال الاجتماعي» الخاص بهم. ومع ذلك، فإن معظم الكتّاب الذين استعرضناهم هنا هم بالفعل شخصيات معروفة، على الأقل في لبنان، وأنهم في أغليبتهم الساحقة أكاديميون معروفون قبل أن يكونوا كتّابًا في الصحف، وذلك لأسباب تتعلق بإضيقهم السياسي أكثر من تعلقها بوضعهم الأكاديمي.

إن النشر في صفحات الرأي هو وسيلة الباحثين للتعرض للواقع الاجتماعي من منظورات متباينة، ويمكن أن تكون وسيلة للتعبير عن المعارضة للآراء السائدة التي يرى الباحث أنها لا تستند إلى معطيات واقعية. وهناك مثال جيد، من فرنسا، وفرته مقابلة مع ميشال فييفوركا في لوموند، استنادًا إلى بحوثه بشأن معاداة السامية في فرنسا، وهي البحوث التي نُشرت بعد إطلاق النار على ثلاثة أطفال في مدرسة يهودية في تولوز. أثرت فييفوركا في النقاش العام من طريق تهدئة المخاوف بشأن عودة معاداة السامية<sup>(٤٩)</sup>. ويمكن العثور على أمثلة مشابهة في المساهمات الأكاديمية التي قد تعزز المناقشات البناءة وتتحدى بعض الحجج الكاذبة المستخدمة لأغراض سياسية، أو تكشف الظلم في ميزان القوى العالمي الحالي. لقد منع شح الكتابة الأكاديمية في الصحف في لبنان من بلوغ هذا الهدف.

سبب آخر يمكن أن يكون دافعًا قويًا هو أن من خلال المساهمة في النقاش العام يصبح الأكاديميون جزءًا من الجمهور الذي يتوجهون إليه. وهذا السبب مهم في الحالة التي ينظر فيها الجمهور إلى المعرفة الأكاديمية بوصفها وجهة من الغرب أساسًا وغريبة عن الواقع المحلي<sup>(٥٠)</sup>. في العالم العربي، تُنزع الشرعية عن العلوم

(48) Rodríguez-Garavito, «Amphibious sociology».

(49) Wiewiorka, p. 100.

(50) Rodríguez-Garavito, p. 23.

الاجتماعية غالبًا لأن ظهورها يتزامن مع وجود القوة الاستعمارية<sup>(٥١)</sup>. الشيء نفسه يحدث داخل الحقل العلمي الأخرى، حيث إن الجماعات العلمية شكّلتها في كثير من الأحيان نخب قوية مرتبطة بالقوة الاستعمارية<sup>(٥٢)</sup>. يمكن للعلوم الاجتماعية أن تتأثر بهذا الماضي على نحو خاص، ويمكن وجودها في وسائل الإعلام أن يوفر فرصة لتحدي النظريات التي «تشكلت في البوتقة التاريخية للحدادة الغربية»<sup>(٥٣)</sup>، ويشكّل أيضًا وسيلة لتحدي «عدم توازن السلطة الأكاديمية بين الشمال والجنوب العالمي»<sup>(٥٤)</sup>. في ما يتعلق بلبنان، نحن لا نشعر بأن هذه هي الحال بالضبط؛ فالصحف اللبنانية، كما قلنا، لديها تاريخ من الكتابة الحرة وشكل من أشكال الاستقلالية، والحياة الأكاديمية حية وتعتمد على تراث تاريخي مهم. وبالتالي، لا يشعر الباحثون الاجتماعيون بأنهم يمثلون أي جسم من المعرفة أجنبي حتى عندما يكتبون بلغات غير عربية.

هناك دافع قوي آخر للأكاديميين للمساهمة في مقالات الرأي وهو أنه بهذه الطريقة تخرجهم الأبحاث من بيئة عمل معزولة إلى حد كبير<sup>(٥٥)</sup>. وبالطريقة نفسها، يمكن الأكاديميين، من خلال الانخراط في حوار مع الجمهور (سواء في صفحات الصحف أو بعد نشر المقالات)، دراسة الواقع الاجتماعي موضع الاهتمام من وجهات نظر متباينة، وهو ما يتيح تحليلًا أكثر عمقًا. بالطبع، لا يحصل ذلك إن لم يكن الكتاب مهتمين أيضًا في تلقي الآراء المعبر عنها خارج الأوساط الأكاديمية. وهذه مسألة اختيار، أي اختيار الصحف التي تصل إلى الفئات التي تفكر مثلهم أو تعارضهم.

مع ذلك، يمكن القول إن الأكاديميين اللبنانيين اختاروا في بعض الحالات الكتابة في الصحف للتعبير عن موقف سياسي لا لجلب الأبحاث إلى الجمهور. ولعل المقارنة بفرنسا مفيدة هنا. في أثناء كتابة هذه المقالة ورصد كل من ليبراسيون ولوموند، وهما صحيفتان رائدتان في فرنسا، خلال أيلول/سبتمبر ٢٠١٣، يمكن أن نلاحظ أهمية المساهمات الأكاديمية في مقالات الرأي، وكذلك في المقابلات القصيرة والمقالات الطويلة. وإذا ما بدت عناوين الصحف عن الأزمة السورية معيارية (الخدعة الروسية - هجوم بشار الأسد الإعلامي ... إلخ)، فإن هذه المعيارية تعود غالبًا إلى استخدام مكثف للحقائق والتحليل المقدم من صحافيين وأكاديميين. فخلال خمسة أيام (من ٢٥ حتى ٣٠ أيلول/سبتمبر)، نشرت الصحيفتان المذكورتان ١٥ مقالة عن النظام الضريبي وعدم الإصلاح في الاقتصاد السياسي، كتب ١٢ منها إما أساتذة في الجامعات الفرنسية وإما باحثون في المركز الوطني للأبحاث العلمية. بالإضافة إلى ذلك، أجرت لوموند في ٢٥ أيلول/سبتمبر مقابلة مع الخبير الاقتصادي إيلي كوهين كان محورها الاستشارات الضريبية<sup>(٥٦)</sup>. وتستخدم لوموند خبراء أكاديميين بطريقة أكثر تفاعلية. عندما ظهر تقرير الفريق الدولي

(51) Sari Hanafi, Rigas Arvanitis and Justine Baer, «Internationalization of Science in Lebanon – The American University of Beirut – A Case Study.» in: Michael Kuhn and Kazumi Okamoto, eds., *Spatial Social Thought: Local Knowledge in Global Science Encounters* (Stuttgart: Ibidem Press, 2013), and Adel Selmi, «L'Emergence d'un champ scientifique: L'Ethnoscience et la sociologie en Tunisie (1881-1970),» *Gradhiva: Revue d'histoire et d'archives de l'anthropologie*, vol. 29, no. 43 (2001).

(52) Jacques Gaillard, V. V. Krishna and Roland Waast, eds., *Scientific Communities in the Developing World* (New Delhi: Sage Publications, 1997).

(53) Karl von Holdt, «Critical Engagement in Fields of Power: Cycles of Sociological Activism in Post-Apartheid South Africa.» in: Burawoy, ed., p. 51.

(54) Nandini Sundar, «In Times of Civil War: On Being a Schizophrenic (Public) Sociologist.» in: Burawoy, ed., p. 36.

(55) Rodríguez-Garavito, p. 24.

(56) في مقالة بالفرنسية في الأصل بعنوان «فرنسا لا تفهم الحاجة الماسة للإصلاح». انظر المزيد على الموقع الإلكتروني: <<http://boulesteix.blog.lemonde.fr/2013/09/25/fiscalite-le-discours-dominant-est-infonde/#sthash.dgavdoII.dpuf>>.

المعني بتغير المناخ، أجرى عدد لوموند بتاريخ ٢٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣ مقابلة مع خبير المناخ هيرفيه لوتروت. والهدف من هذه المقارنة ليس رفع السقف كثيرًا (النموذج الفرنسي) و«إدانة» الباحثين اللبنانيين، بل تقديم مثال لكيفية عقلنة النقاش من خلال تدخّل المجتمع العلمي في الصحف.

بالعودة إلى الحالة اللبنانية، حتى التعبير عن القضايا السياسية قد يكون له تأثير مهم للغاية. يمكن الأكاديمي أيضًا، أكان محافظًا تجاه هيمنة الطبقات الحاكمة أم نقدياً، أن يشير من خلال الكتابة لجمهور كبير إلى أن هناك اختلافات داخل الوسط الأكاديمي نفسه. ففي سنة ٢٠٠٥، قدمت صحيفة النهار، على سبيل المثال، للجمهور وجهات نظر متعارضة لباحثين تناولوا وجود اللاجئين الفلسطينيين وأوضاعهم المعيشية في لبنان. وكون الموضوعات السياسية هي في كثير من الأحيان موضوعات مقالات الرأي، فإن في إمكان العرض الحي لوجهات نظر مختلفة أن يثري النقاش العام.

من بين المخاطر التي تنطوي عليها الكتابة في الصحف، من الضروري أن لا نقلل من خطر «الاحتراق» (Burning out)<sup>(٥٧)</sup> المرتبط بالانخراط في العمل العام النشط، كما ذكر بعض الذين قابلناهم. يضع تقديم الرأي والبحث في النقاش العام، على الرغم من كونها وفاء بالتزام أخلاقي بالمساهمة في المجتمع، الوسط الأكاديمي على خط النار مباشرة؛ فبالاحتكاك مع الجمهور، لا يعود الأكاديميون محميين من جانب مؤسساتهم. وتبادل أبحاثهم أو آرائهم مع الجمهور يحملهم مخاطر الانتقاد العلني، وهي تجربة يمكن أن تكون مستنزفة عاطفياً، وخاصة في ضوء الطابع السياسي لمساهماتهم. إضافة إلى ذلك، غالباً ما يكون قول «حقائق غير مريحة» للضعفاء أو تشكيل سلطات مضادة أصعب كثيراً من الاحتجاج في وجه الأقوياء، لأنه يبعثنا عن الناس الذين نعجب بهم كل الإعجاب في حالات أخرى»<sup>(٥٨)</sup>.

التحدي الثاني، مع تزايد الطابع المادي- السلعي للجامعة، يتمثل في تنافس الأكاديميين للحصول على التمويل داخل أسوار المؤسسات، ويعلّق البعض بين جامعات تدفعهم إلى النشر عالمياً، بشكل رئيسي في المجالات الأكاديمية المحكمة، ولو على حساب التواصل مع المجتمع المحلي. ولا يذكر بعض الأكاديميين كتاباتهم المنشورة في الصحف في سيرهم الذاتية. وقد حملت جمعية علم النفس الأميركية وكلية كينيدي للإدارة الحكومية الراهية، مشجعتين أعضائهما على الكتابة<sup>(٥٩)</sup>. وتبين مقابلات مع أكاديميين في لبنان أن المشاركة في الإعلام بالنسبة إلى بعض الباحثين هي هدر خطر للوقت والطاقة يعرّض «رأس مالهم الأكاديمي» للخطر، على غرار بيار بورديو، كما عرفته المعايير الأميركية/ الأوروبية<sup>(٦٠)</sup>. وكما لاحظت بوبكوبا وتارتاكوفسكايا، يعتقد البعض أن بمجرد تأمين وظيفة في الجامعة، لن يكون لديهم وقت يضيعونه مع الجمهور. ويعتبر أولئك الذين يقفون ضد مشاركة الأكاديميين في الحياة العامة أن الجهد والالتزام المطلوبين من الأكاديمي الذي يؤدي وظائف متعددة (باحث، أستاذ، ناشط، خبير عام) يمكن أن يؤدي إلى التضحية بجودة العمل المهني. فبالنسبة إليهم، يؤدي هذا التنازل عن الوقت إلى المساس بالمسؤولية الأكاديمية للتعليم والبحث. ويرى بعض المفكرين أن المشاركة في الإعلام السريع الخطى

(٥٧) كما عتبر باراوي بشكل جميل، يمكن أن يقع الأكاديميون في دوامة عند محاولة إجراء الأبحاث، والنشر وفق قواعد مؤسساتهم، ومواصلة المشاركة السياسية، والتدريس... إلخ. انظر:

Michael Burawoy, «Precarious Engagements: From Bourdieu to Public Sociology», in: Burawoy, ed., *Precarious Engagements*.

(58) Sundar, p. 39.

(59) Bishara, «Notes from the Field».

(60) Hanafi, Arvanitis and Baer, «Internationalization of Science in Lebanon».



تتعارض مع البيئة الأكاديمية المعزولة والدؤوبة والمركزة والتي يؤكد كثيرون أنها ضرورية لإنتاج عمل عالي الجودة. في هذه الحجة جانب من الصواب بالفعل، ولكن يمكن النظر إلى الأمر كمعضلة تتطلب على الدوام إحداث توازن ما.

التحدي الثالث يتعلق بالصحف ذاتها، كما ذكرنا سابقاً، التي تتنافس سياسياً والتي أظهرت عدم جديتها في عقلنة المناقشات العامة للقضايا المجتمعية (فتورد بدلاً من ذلك وجهة نظر واحدة تدعم الأحزاب أو الجماعات السياسية التي تمول الوسيلة الإعلامية المعنية). ففي المساهمة في النقاش السياسي، يتحمل الأكاديميون مخاطر فقدان «الحياد» الضروري للبحث العلمي. وهذه أيضاً معضلة أخرى: على الرغم من الدور العام لنانديني سوندار الذي شاركت فيه أكثر بكثير من الكتابة في الصحف، فإن مشاركتها في الدفاع عن جماعات السكان الأصليين أضرت بالحياد اللازم لإجراء الأبحاث<sup>(61)</sup>. وقد تكون صعوبة «الإبقاء على الموضوعية مع عدم الحياد» تحدياً مستحيلًا في الجو السياسي اللبناني، وبالتالي لا يستحق الأمر المخاطرة.

التحدي الأخير هو أن في بعض الأحيان يمكن أن تعمل مساهمة الأكاديمي في الإعلام ضد القصد الأصلي من المشاركة. كانت تجربة إلينا زدرافوميسلوفو وأن تمكيننا<sup>(62)</sup> في مجال دراسات النوع الاجتماعي في روسيا ومشاركتها في وسائل الإعلام تجربة محببة تميزت بصحافيين مخدعين أساءوا غالباً تفسير التصريحات التي أدلت بها الباحثتان. ففي روسيا، حيث بدت أفكار المساواة بين الجنسين التي عبّرتا عنها غير مألوفة، انتقدت التصريحات العامة بوصفها إمبريالية ومتناقضة مع التقاليد الروسية. وفي لبنان، قد يتعد الأكاديميون عن الارتباط بالصحف خوفاً من سوء التفسير أو الوقوع تحت تأثير منظمات سياسية ورجال أعمال ذوي أجندات خاصة. كما أن عدم الرقابة على النشر يؤثر بالتأكيد في استعداد الأكاديميين لإعطاء مقابلات للصحافيين.

## الصحف والأكاديميون في المجال العام

إذا اعتمدنا على بعض السوابق التاريخية، يمكننا أن نجد سبباً آخر مهماً يفسر ضعف استخدام الأكاديميين مقالات الرأي.

تقدم لنا أنيس فافيه تاريخاً مهماً جداً لدور المثقفين اللبنانيين الذين أدوا دوراً كبيراً ليصبحوا إما مثقفين فدايين وإما فدايين مثقفين. فمنذ سنة ١٩٩٠، شكلت مجموعة من المثقفين جماعة معارضة للطبقة السياسية الحاكمة التي قسمت السلطة بخطوط طائفية إلى ثلاث سلطات متنافسة. ولأجل هذه المطالب السياسية، كانوا يدعمون المطالب الاجتماعية لنقابات العمال التي كانت تنفذ الإضرابات، ولا سيما الاتحاد العمالي العام<sup>(63)</sup>.

استخدم المثقفون البيانات والعرائض الموقعة كوسيلة للعمل السياسي، مثل «عريضة ٥٥» التي وقّعها ٥٥ مثقفاً في ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤ (وتضم ٣٢ أكاديمياً و ١٠ صحافيين و ٧ اقتصاديين و ٧ كتاب و ٥ باحثين ومحربين ومحامين وعاملاً واحداً؛ ويتجاوز المجموع ٥٥ لأن البعض لديه أكثر من مهنة)

(61) Sundar, p. 38.

(62) Temkina and Zdravomyslova, p. 110.

(63) تكتب فافيه عن سياق يتميز بـ«سيطرة الأحاديث المسهبة للوسط الفكري في بيروت: موائد مستديرة ومؤتمرات ومناقشات سياسية تتكاثر في الواقع في بعض الأماكن العامة في المنتديات البيروتية، وتدرج محتوياتها بالكامل في الصفحات الثقافية و صفحات الرأي في الصحف اللبنانية»، انظر:

.Favier, «Logiques de l'engagement et modes de contestation au Liban»

وتبناها رئيس تحرير صحيفة النهار غسان تويني في افتتاحيته، وتلاه رئيس تحرير لوريان لوجور في ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤. ومن ثم شكلت العريضة أساس بيان لكتلة سليم الحص البرلمانية. وفي ذلك الوقت، عمدت الصحف التي تضم أصلاً شخصيات مثقفة بارزة تتولى مسؤولية مقالات الرأي (فواز طرابلسي، رضوان السيد، سمير قصير، جهاد الزين... إلخ)، إلى تشجيع المثقفين للتعبير عن آرائهم. وعبر مثقفون أكثر راديكالية عن أنفسهم في الملحق الأدبي لـ النهار تحت إشراف إلياس خوري. وأعقب هذا البيان بيانات أخرى دانت قضايا مثل الفساد السياسي وعدم استقلال النظام القضائي والتوسع العمراني في المدن. ووقع البيانات المذكورة عدد أكبر من الباحثين (١٥٠، ٤٤٥...<sup>(٦٤)</sup>). واللافت في تلك البيانات هو أنها لا تنتقد القرارات السياسية فحسب بل تقترح أيضاً بعض الحلول. وقد فهم المثقفون الذين قدموا العرائض أن المجال السياسي ليس عالمًا للقديسين، كما أشار ماكس فيبر، بمعنى أن السياسيين يجب أن يجمعوا بين أخلاقيات الغايات النهائية وأخلاقيات المسؤولية.

وما يميزهم من الكتاب الأكاديميين الحاليين لمقالات الرأي هو أنهم كانوا ضالعين في العمل الجماعي، وأنهم جمعوا بين العمل الأكاديمي والنشاط السياسي. كانوا مجموعة من المثقفين المترابطين ارتباطاً وثيقاً ممن أدركوا أن وظيفتهم هي إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي. وجاءت محاضرة إدوارد سعيد عن تمثيلات المثقف في بيروت في ٥ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥ صدى واضحاً لهذا الرأي. تحدد فافيه ما تسميه حلقة «دائمة» من ٥٢ شخصاً وقّعوا بين ٣ - ٥ بيانات في سنة ١٩٩٥. وتتألف هذه الحلقة من صحافيين أو أكاديميين من بيروت أساساً. وقد أصبح بعضهم أصحاب مشاريع سياسية عبر دخول المعتزك السياسي والبعض الآخر ألزم نفسه بالمبادرة الأخلاقية. ولم يكن لدى هؤلاء الأخيرين مصلحة في أن يصبحوا سياسيين بل في العمل على تحقيق يوتوبيا عقلانية وأخلاقية من خلال الخطاب العام. ويقدم أحمد بيضون في نوع من السيرة الإثنوغرافية (Autoethnography) معلومات عن نحو ٥٠ مثقفاً<sup>(٦٥)</sup>، أغلبيتهم العظمى من الأكاديميين الذين كان لهم تأثير كبير في النقاش اللبناني في الستينيات. وشارك معظمهم في مجموعة سياسية- فكرية تسمى «حلقة لبنان الاشتراكي»، مشكّلين نوعاً من «يسار جديد». وهنا أيضاً، نرى مثلاً لكيف استفاد أكاديميون متممون شاركوا في النقاش المجتمعي من انتمائهم إلى هيئة من الناشطين المثقفين، وهو ما عزز رسالتهم ونشرها خارج العالم الأكاديمي.

لهذا الجسم الأكاديمي - النشاط سياسياً حاملان: الأول، وجود فضاء (وهو أمر مهم جداً بالنسبة إلى المجال العام الهابر ماسي): يقدم لنا نيكولا دوت بويار صورة جميلة جداً لشارع الحمراء في غرب بيروت؛ فقد شكل هذا الشارع من الستينيات حتى الثمانينيات فضاء طليعيًا للمثقفين اللبنانيين بل والعرب عموماً، بمقاهيه وحناته وقربه من الجامعة الأميركية. فمثلاً، كان مقهى ومطعم فيصل، أمام بوابة الجامعة الأميركية في بيروت، مركز نقاش فكري للقوميين العرب. أصبح شارع الحمراء الآن مكاناً معبوداً للتسوق ويعج بمنافذ الشركات المتعددة الجنسيات، الأمر الذي يبعده عن رمزته الفكرية القديمة. والحامل الثاني الذي أبرزه بويار، كان علاقة المثقفين اليساريين بالطبقات العاملة<sup>(٦٦)</sup>.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) أحمد بيضون، «لبنان الاشتراكي»: ظهور جماعة من شبيبة «اليسار الجديد» ومسارها في لبنان الستينيات، «كلمن، العدد ٨ (خريف ٢٠١٣).

(٦٦) Nicolas Dot-Pouillard, «Boire à Hamra: Une jeunesse nostalgique à Beyrouth?», dans: Laurent Bonnefoy et Myriam Catusse, dirs., *Jeunes arabes: Du Maroc au Yémen: Loisirs, cultures et politiques*, préface de François Burgat, cahiers libres (Paris : La Découverte, 2013), p. 131.

ولعل هناك خارج الوطن العربي أيضاً أمثلة أخرى لهذا الحوار النشط بين الأكاديميين وجمهورهم من أماكن متنوعة (تركيا، الصين،<sup>(٦٧)</sup> مصر)؛ إذ تقدم تركيا كذلك مثلاً ممتازاً لمساهمة الأكاديميين في الحياة العامة لا من خلال الصحف فحسب بل من خلال التلفزيون أيضاً. وهذا في كثير من الأحيان نادر في العالم العربي باستثناء مصر، حيث يوفر مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية في كثير من الأحيان خبراء جديدين لا تستند خبراتهم إلى البحث العلمي فحسب، بل إلى الصحافة أيضاً. ويشارك خبراء المركز باستمرار في وسائل الإعلام المصرية (قناة النيل والصحف) والعربية (الجزيرة العربية). وتذكر مشاركة الأكاديميين في مصر وتركيا بأنواع رودريغيز-غارافيتو الوسيطة التي يوصي فيها باستخدام الوسائط المتعددة لملء الفجوة بين «الإنتاج الأكاديمي التقليدي» وما هو في متناول الجمهور وذو صلة به<sup>(٦٨)</sup>. إن زيادة التشديد على التلفزيون والراديو تمثل تحدياً للكتابة الأكاديميين المعتادة. وعبر الوصول إلى جزء أكبر من الجمهور، يفسح الأكاديميون المجال لهذا النوع من الالتزام الاجتماعي الذي يمكن أن يؤدي إلى إعادة نقاش نظريات وممارسات راسخة.

## خاتمة

أظهرت هذه الدراسة أن هناك قلة فقط من الأكاديميين المهتمين بالكتابة في الصحف، على الرغم من أنها تبدو طريقة مباشرة للمشاركة في النقاش العام. يمكن صوغ الكثير من الحجج لتفسير هذا التردد: عدم اعتراف نظام الترقية في الجامعات بمثل هذه الأشكال من المشاركة المجتمعية، وصعوبة إيجاد صحيفة مناسبة<sup>(٦٩)</sup>، والخوف من الانتقاد العلني، وعدم الثقة بوسائل الإعلام وبقدرتها على تقديم الأبحاث من دون التضحية بالجودة الأكاديمية، ومخاطرة تعريض العمل المهني للخطر من خلال النشاط العام المستهلك للوقت.

من المهم أن نعتبر أن بعض هذه المخاوف لا يشعر بها جميع الأكاديميين بالطريقة نفسها، وربما الأصغر سنًا بين الأكاديميين الذين يتعرضون لضغط أكبر من آليات التقييم الأكاديمي، هم أكثر تردداً من الجيل الأكبر سنًا أو المتقاعدين، كما يبين بحثنا. كتاب مقالات الرأي في لبنان هم، في معظم الحالات، من الأكاديميين المرموقين مهنيًا، ولكن لا يعولون على هذه المنشورات للحصول على الاعتراف الأكاديمي بهم. وهذه ربما قاعدة عامة. أكاديميون بارزون، كإدوارد سعيد ونعوم تشومسكي، أصبحوا مشهورين لدى جمهور غير أكاديمي لكنهم باحثون جيدون في مجالهم العلمي (الأدب الإنكليزي واللسانيات) في المقام الأول. ولكن من الصعب أن نتحدث عن علاقة ترابطية بين الشهرة العامة والاعتراف الأكاديمي لأنها تعمل باتجاه واحد فقط. يستخدم المؤلف سلطته المعنوية كونه أكاديميًا معترفًا به، لكنه لا يستطيع استخدام الشهرة العامة كقيمة إضافية في مساره المهني. علاوة على ذلك، هناك فكرة سائدة عند بعض الباحثين الاجتماعيين

(٦٧) دُعيت دراسة ظروف العمل في مواقع «فوكسكون» في الصين، وهي شركة لتصنيع الإلكترونيات، والحملة الدولية المتواصلة، بجهود مجموعة من الأكاديميين والطلاب. لم تعمل المجموعة، التي تتألف من أفراد من تايبوان وهونغ كونغ والصين، معاً لوضع تقرير يستند إلى الأبحاث التجريبية فحسب، بل نشرت أيضاً تقريراً مشتركاً أرسل إلى جهات حكومية وشركات متعددة. وتمكنت المجموعة من خلال العمل الجماعي من الجمع بين قوة البحث والمعرفة بطرق تبادل النتائج التي توصلت إليها بفعالية أكبر. انظر:

Pun Ngai [et al.]. «Worker-Intellectual Unity: Trans-Border Sociological Intervention in Foxconn.» in: Burawoy, ed., p. 74.

(68) Rodríguez-Garavito, p. 28.

(٦٩) قد تكون الصحف أقل أهمية في الوقت الحاضر لأن النشر على الإنترنت يفتح الكثير من الخيارات للأكاديميين (صحف إلكترونية، مواقع إلكترونية، مدونات... إلخ).

مؤداها أن النشر في الصحف لا يقل أهمية عن النشر في مجلات وكتب أكاديمية. إلا أن البيانات لا تدعم هذه الحجة.

أخيراً، استخدم الأكاديميون ثلاثة أساليب للتعبير في أثناء كتابة مقالة رأي: الأسلوب التأملي والأسلوب الاستفزازي وأسلوب المواطن. لقد شددنا على حقيقة أن الأكاديميين في مقالات الرأي عادة ما يتناولون موضوعات سياسية، وأنهم يفعلون كذلك من خلال التعبير عن آرائهم ومن دون الحفاظ على موقف محايد أو لهجة تحليلية بحتة. ينبغي ألا يُنظر إلى هذا باعتباره النموذج الأمثل، لكنه يعطي بالتأكيد ميزة للباحثين الاجتماعيين الذين يمكنهم الاعتماد على معرفتهم بالتاريخ والعلوم السياسية. ومن المخيب للأمل أن نجد قلة تقوم بالتعبير عن وجهات النظر بشأن موضوعات أخرى (القضايا الاجتماعية والبيئية، وقضايا سياسية دولية خارج المنطقة العربية). وربما يكون ذلك أيضاً نتيجة مباشرة للتسييس الشديد الذي يطاول الصحف في لبنان.

ولكن هذا الانفصال النسبي لعوالم النشر، الأكاديمية منها وغير الأكاديمية، ينبغي أن يكون موضع تساؤل؛ إذ لا يمكن، وفق الاقتباس من حنة أرندت في بداية هذه المقالة، فصل صيرورة إنتاج المعرفة عن «الحوار الذي لا ينتهي» الذي تقترحه أرندت مع الجمهور.

فمقالة الرأي ليست جمع فقرات مشذبة، على طريقة بروتوكول المقالة الأكاديمية، ولا هي من المفترض أن تكون نصّاً عاطفياً لإبكاء قرائها؛ هي تدخل في نقاش ممكن، أكان ذلك مناقشة موضوع يشغل الرأي العام أم فتح نقاش في قضية مهمّة ينبغي أن يُشغل بها الرأي العام. في جميع الحالات، يمكن الأكاديميين استخدام المنبر العام الذي تقدمه الصحف لترشيد قضية ما أو مناقشة ما.

على الرغم من ندرة مقالات الرأي التي يكتبها الأكاديميون، وخصوصاً بالطريقة التأملية أو الاستفزازية، فإنهم يؤدون دوراً مهماً. إن حالة متزايدة من عدم النشر للأصوات الأكاديمية لها عواقب مهمة، تتجاوز لبنان، لأنها تؤدي إلى إفقار للمناقشات العامة في جميع البلدان العربية. في الواقع، يمكن أن يستفيد الأكاديميون من صفحات الرأي كمختبر لاختبار أفكارهم والدخول في محادثة مباشرة مع جمهور مختلف. والحال هذه يمكن أن تكون لجميع أنواع المواقف، أكان ذلك في الاعتراض على النظام الاجتماعي والسياسي، وهو النشاط الذي يتطلب التفاعل المباشر مع الجمهور، أو البحث في قضايا السياسة العامة. علاوة على ذلك، هذا الدفق القليل من مقالات الأكاديميين هو تعبير عن عدم الثقة تجاه الجامعات، وبصورة أعم تجاه إنتاج المعرفة. إنه أحد الجوانب المعقدة للحياة الاجتماعية والسياسية، وغير المدروسة بشكل كاف.

أخيراً، تكشف ندرة مساهمة الأكاديميين فشلاً مزدوجاً: فشل الصحف اللبنانية في إشراك الأكاديميين في صوغ المعلومات والتحليلات التي يقدمونها للجمهور، وفشل الأكاديميين في المشاركة في الحياة العامة.